

## مقابلة مع اشتراكيين تونسيين بعد سنة من سقوط بن علي

"الاشتراكي"، جريدة الحزب الاشتراكي (اللجنة لأمية العمال في انكلترا وويلز)

ناسب يوم 14 يناير الذكرى السنوية الأولى لسقوط الديكتاتور المكروه زين العابدين بن علي من قبل الثورة التونسية. وتحدثت "الاشتراكي"، جريدة الحزب الاشتراكي (اللجنة لأمية العمال في انكلترا وويلز) مع اشتراكيين ياضلان في تونس ويتعاطفون مع سياسة اللجنة لأمية العمال.

### هل يمكنكم وصف الوضع في تونس اليوم؟

الثورة هي سيرورة وليست فعلاً واحداً. هذه السيرورة لا تزال مستمرة وهو ما يمكن ملاحظته في الموجة الجديدة من الاحتجاجات التي تجري في تونس، وخاصة منذ بداية العام. كل يوم هناك احتجاجات جديدة تحدث في جميع أنحاء البلاد ضد السلطة وإضرابات جديدة لتحسين الظروف الاجتماعية واعتصامات من قبل الناس للتعبير عن مظلهمهم. وقد وفرت الذكرى السنوية للثورة قوة دفع لما يبدو أنه أكبر موجة من التحركات منذ سنة اتخذت في بعض المناطق قرابة "التمردية". وفي مناطق التعدين في جميع أنحاء كفصة، فإن الوضع متفجر ويشهد إضرابات منتظمة ومظاهرات ومحليات تجري إدارتها ذاتياً من قبل السكان.

### احتجاجات ضد البطالة في كفصة في كانون الأول

وقد جرى إضراب عام إقليمي أيضاً واستمر لمدة خمسة أيام في محافظة سليانا في الجنوب، بين 13 و18 كانون الثاني، وذلك احتجاجاً على الفقر والتهميش الاجتماعي في المنطقة. "ثورة" في اللغة العربية تعني القطع أو الفصل الكامل من الماضي، ولكن هذا لم يحدث. كل هذه الاحتجاجات تشير إلى أن الناس ما زال لديهم الكثير للنضال من أجله، وأن الأوضاع بالنسبة للأغلبية لم تتغير جوهرياً. إن الظروف الموضوعية في المجتمع التي سببت الاضطرابات الثورية لا تزال موجودة. في الكثير من النواحي الحياة اليومية للغالبية هي في الواقع أسوأ الآن. نرى اليوم انفجاراً في البطالة في حين أن هذه المسألة كانت في صلب مطالب الناس في المقام الأول. منذ 14 كانون الثاني من العام الماضي، هناك 107 حالة جديدة من الأضاحي الذاتي في البلاد، وعلى الأقل ستة منها من الأسبوع الأول من هذا العام. معظمهم عاطلون عن العمل ويائسون وعلى استعداد لفعل أي شيء للحصول على وظيفة. لم يكن هناك انفصلاً جوهرياً عن النظام السابق، وبالتالي فإنه من الممكن تماماً التنبؤ بأن الجماهير ستستمر بنضالها. ولذلك فمن الواضح أن الثورة - الناس الذين يبحثون عن تغيير حقيقي في المجتمع والذين يحشدون بشكل جماعي إلى الميادين لفرض ذلك - لا تزال حية.



### هل يمكنكم بعد المرحلة الأولى من الثورة وضع ميزانية عمومية لما تم اكتسابه ولما لا يزال يتعين الفوز به؟

أول شيء ينبغي أن نلاحظه هو أن الطبقة الرأسمالية كانت تعتمد على النظام القديم لدى الرئيس بن علي للدفاع عن مصالحها. وعندما أطيح بين علي كانت الطبقة الرأسمالية غير مستقرة في البداية. وفي مواجهة الثورة التي هدبت وجودها الاجتماعي، اضطرت أن تتنازل لمطالب مهمة وخاصة في المجال السياسي، في محاولة لاستعادة سيطرة معينة. وتحت ضغط التحركات، تم إزالة الكثير من الشخصيات القيادية في جهاز الدولة، وحل الحزب الحاكم السابق، التجمع الدستوري الديمقراطي، بقيادة بن علي، وغيرها. وكانت الحركة قوية لدرجة أن المعلقين في وسائل الإعلام المسيطر عليها من قبل الرأسماليين أجبروا على الاعتراف بأن هذه كانت ثورة.

ولكن منذ الاندلاع الأول للثورة، هناك محاولات واعية من قبل الرأسماليين لتركيز الاهتمام فقط على مسائل الديمقراطية السياسية والتمثيل السياسي، ولعدم التنازل عن الأسس الأساسية الاجتماعية للنظام الرأسمالي. ونشرت جميع العناصر المرتبطة بالطبقة الرأسمالية جهوداً لعرقلة العملية الثورية وتوجيهها نحو قنوات آمنة مثل ذات "الشرعية" ونحو الدستور القائم والقديم والمؤسسات. ولكن الشباب الثوري والعمال هم الذين فرضوا هذه الانتخابات لجمعية تأسيسية جديدة بعد الاحتلال الشامل الثاني لميدان القصبية. إن الأغلبية ليس لديها أهداف واضحة لأخذ المجتمع اتجاهها. والوعي السياسي مختلط جداً. الجماهير من الناس يحاولون الإبحار عبر الفقر اليومي والفساد البيروقراطي في الدولة. ولكن هناك إدراك لدى العديد أن الإزالة الصورية للنظام القديم لم ولن تحسن حياتهم بشكل جذري.



إن الناس غاضبون ويشعرون بالإحباط لعدم التقدم. لقد فقد الكثير أصدقاء وأقارب في الثورة، ويرون أنه تم اختطاف تضحياتهم من قبل الطبقة الحاكمة. وحتى أهالي الشهداء لم يشهدوا العدالة الحقيقية. وهناك الكثير من القاتلين لا يزالون حرين وبما في ذلك بعض الذين تعرف هويتهم. ولقد حرم جرحى قمع الدولة في بداية العام من المساعدة الطبية المناسبة. و90% من الناس الذين قتلوا بالرصاص لا يزال لديها رصاصات في أجسادهم، وذلك بسبب عدم وجود علاج طبي جدي. وفقدت الكثير وظائفهم، أو حتى حياتهم، منذ ذلك الحين. وفي بعض الحالات تم حتى إرسال الشرطة ضدهم عندما كانوا يحتجون.

### لقد تحدثت الصحافة البريطانية كثيراً عن فوز الأحزاب الإسلامية في الانتخابات. كيف يرى الاشتراكيون ذلك الفوز؟

الحزب الديني "المعتدل" حزب النهضة هو الفائز الرئيسي في انتخابات كانون الأول البرلمانية. لقد تمكن من تحقيق مكاسب على حساب الأحزاب الأخرى لأنه استغل القضايا الملحة الاجتماعية - الفقر والبطالة وغيرها - لدى الأغلبية. واستطاع حزب النهضة أيضاً أن يقنع العديد من الناخبين أن الأطراف "العلمانية" الأخرى هي "معادية للدين"، وأنها ترغب في مهاجمة الإسلام. وقد تمكن حزب النهضة من ذلك لأن معظم الأحزاب العلمانية شجعت تقسيم واستقطاب الجدل السياسي على هذا النحو إلى درجة أن القضايا الساخنة الاجتماعية لم تعالج فعلاً. لقد اشترى حزب النهضة أيضاً أصوات بمال من النظام القطري وأماكن أخرى. ووعد أعضاء النهضة الناخبين تقديم الهدايا من جميع الأنواع، مثل الخراف، فداء لعبد الأضحى. وعندما لم يتحقق ذلك، كان هناك احتجاجات. النهضة ليست قوة قوية في المجتمع بل حالة أحزاب المعارضة الأخرى هي الضعيفة. وكانت النهضة قادرة على ملء الفراغ.



ولكن النهضة سوف تفقد الدعم الشعبي لأنها ستقتل من حيث تحسين الأوضاع الاجتماعية للفقراء. وهذا من المؤكد أن يحدث لأن سياسة النهضة ليست سوى نسخة جديدة من سياسات النظام القديم. والكثير من الناس وصلوا إلى مثل هذا الاستنتاج. في كانون الثاني حاولت النهضة فرض شخصيات مرتبطة مع النظام القديم على رئاسة وسائل الإعلام. وأثار هذا غضبا شديداً أجبر النهضة على التراجع. وبالفعل شهدت النهضة انخفاضاً في التأييد في استطلاعات الرأي من 41% إلى 28%. وهناك فئة معينة من الذين دعموا النهضة في الانتخابات تحتح اليوم في الشوارع ضد الحزب الذي صوتوا له في تشرين الأول. وهذا لا يعني انخفاض تلقائي وعام في دعم الإسلام السياسي اليميني - في حين أن أجنحة أكثر ميلا إلى الأصولية تحاول أيضاً أن تتدخل - ولكن هذا يدل على أن جزء مهم من أصوات النهضة ليس على أساس أرضية صلبة.

### لقد لعب العمال، من خلال الإضرابات، دوراً حاسماً في الثورة. ماذا يحدث الآن داخل الحركة العمالية؟

في كانون الأول 2011، تم انتخاب مكتب وطني جديد للاتحاد العام التونسي للشغل وهذا أمر مهم أي أن هذه القيادة الجديدة هي حالياً في حالة "حرب باردة" مع الحكومة. ومن بين 13 عضواً للمكتب الجديد، هناك تسعة يفترض أن يكونوا من تقاليد "ماركسية". الاتحاد لعام التونسي للشغل له القدرة أن يكون أكثر قوة من أي حزب سياسي في البلاد، والقيادة الجديدة تترك ذلك إلى حد ما. ولكن القيادة ليست ثورية بالرغم من أنها تأتي من خلفية ماركسية، ولا تربط الأنشطة اليومية ودعواتها بالتحول الاشتراكي للمجتمع. ومع ذلك، فهي أكثر يساراً من القيادة السابقة ولا ترتبط مباشرة بنظام بن علي الدكتاتوري كسابقاتها. وهناك العدد من القيادة الذين يأتون من خلفية مناضلة وهم يعرفون أن أزمة الرأسمالية تتفاقم بهجمات على الطبقة العاملة وهم أكثر تناغماً مع المزاج العام لدى العمال والأعضاء النقابيين. وبالتالي هم تحت ضغط للتحديث بلغة "الصراع الطبقي" ولاتخاذ موقف أكثر راديكالية في ما يتعلق بالحكومة الجديدة.



هناك نضالات عمالية تنفجر في كل مكان في تونس في الوقت الحاضر، بما في ذلك بعض القطاعات الرئيسية للطبقة العاملة وعلى سبيل المثال في صناعة الغاز حيث تم فرض حصار على ميناء قابس. وكما جرى في قطاع النفط التي تشهد إضرابات حالياً. هناك عمال وفقراء يعرفون خطوط السكك الحديدية والطرق. ولقد صدرت أرقام تفيد بأن هناك معدل من أربعة حواجز طرق كل يوم. وهناك اعتصامات وإضرابات عن الطعام في بعض الحالات لتحسين ظروف العمل والمطالبة بالمزيد من فرص العمل. هذه الإضرابات ليست فقط على أسس المطالب الاجتماعية والاقتصادية ولكنها أيضاً ذات طابع سياسي - تطالب بإزالة المسؤولين الفاسدين والمدراء المرتبطين بالنظام القديم، وتستهدف عجز الحكومة الجديدة لمعالجة الشكايات.

إن التحدي الرئيسي هو تحويل الاتحاد العام التونسي للشغل إلى هيئة ديمقراطية ومناضلة لتنظيم الطبقة العاملة، وهو ما يعني أيضاً أنه يجب التوجه نحو العدد الهائل من العاطلين عن العمل الغاضبين، وإلى تبني برنامج إيجابي قادر على أن يتحدى الحكم الرأسمالي. بالطبع نحن لسنا خياليين. في ظل غياب حزب جماهيري للعمال، يمكن الناس من أن يكونوا وسيلة للضغط وتحقيق الثورة الاشتراكية، هناك جميع أنواع الاحتمالات المفتوحة. ولهذا السبب، إن بناء هذا الحزب هو الآن أهم مهمة للنوار.

القوى الامبريالية تريد الإشارة إلى تونس على أنها "النموذج" الديمقراطي للانتقال تحت السيطرة الرأسمالية. الإمبريالية قد تشعر بالذعر إذا كان هناك حركة عمالية تسيير في اتجاه السيطرة على الاقتصاد. وهذا شيء يريدون تجنبه عبر جميع الحسابات بسبب العواقب على المنطقة برمتها. هذا هو سبب وجود مثل هذه الحملة العدوانية الأيديولوجية في وسائل الإعلام لمهاجمة العمال المضربين، وهي حملة تهدف إلى ترويع الناس وإلى القول أن الإضرابات والاعتصامات "تدفع المستثمرين بعيداً وتدمر فرص العمل"، الخ.

ولكن هذه الحملة ليس لديها الكثير من الأثر على الطبقة العاملة. لقد توقع الرأسماليون أن الحكومة الجديدة المنتخبة سيكون لها السلطة الكافية لتحقيق الاستقرار الاجتماعي. ودليل على ذلك الطلب من الرئيس الجديد للجمهورية اعتبار "هدنة اجتماعية لمدة ستة أشهر". ولكنها لم تحقق. ومن المحتمل أن يؤدي الضغط المستمر على الحكومة بسبب النضالات والإضرابات إلى أن تقدم البلدان الامبريالية للحكومة التونسية المزيد من الدعم المالي من أجل تهدئة الوضع. ولكن يقتصر ذلك على مناورة لنظراً إلى الظرف الاقتصادي العام.

### ما هو الدور الذي تلعبه قوى اليسار في تونس؟

اليسار يلعب دوراً تاريخياً ورتبياً في العديد من النضالات الهامة للطبقة العاملة وفي المكاسب الاجتماعية، بما في ذلك حقوق المرأة وتوفير نظام الرعاية الصحية العامة. وهناك الآن العديد من المنظمات اليسارية. ومع ذلك، فإن الاختيار الحقيقي في تونس اليوم هو تطبيق برنامج اشتراكي لدفع نضالات العمال إلى الأمام. ومن المحتمل أن تشهد البلاد فترة على غرار الفترة اليونانية من الصراع الذي طال أمده، وذلك بسبب عدم وجود حزب عمالي جماهيري لدى برنامج اشتراكي لنقل الحركة باتجاه تحدي النظام الرأسمالي.

لا يمكن أن يكون هناك حل دائم لمشاكل المجتمع داخل إطار الرأسمالية. تلك القوات اليسارية، التي تزعم أنه يجب أن يتم الوفاء بالمرحلة الأولى من "الديمقراطية الرأسمالية" قبل الحديث عن الاشتراكية، تضلل الطبقة العاملة. لأن الرأسمالية هي مهمة فقط في استغلال العمال، وليس في إقامة ديمقراطية حقيقية. والسبيل الوحيد للخروج من هذا المأزق هو أن تحقق الطبقة العاملة الاشتراكية. وعلى البرنامج الاشتراكي أن يعالج وبشكل ملموس مسألة الوظائف للجميع على أساس تقاسم العمل واستثمارات ضخمة في البنية التحتية العامة والرعاية الكريمة للجميع والرقابة العمالية على الصناعة والبنوك... ولكن للأسف اليسار لا يطرح برنامجاً واضحاً حول هذه القضايا.

المجموعة المتعاطفة مع اللجنة لأمية العمال في تونس تطالب بعدم دفع "ديون" البلاد التي هي من النظام القديم، وبتأميم البنوك وكامل ثروة العائلات الحاكمة السابقة تحت الرقابة الديمقراطية للطبقة العاملة والسكان، وتشكيل حكومة تقوم على العمال وعلى الناس الذين صنعوا الثورة من أجل تحقيق هذه التدابير. وفي هذه اللحظة نحن نطالب بتنظيم إضراب عام وذلك كخطوة أولى لتوحيد كل الناس الذين يناضلون في المناطق المختلفة من البلاد في عرض قوة واحدة وقوية.

### ما هي رسالتكم للعمال الذين يناضلون ضد تدابير التقشف والأزمة الرأسمالية في البلدان الأخرى؟

بعد الثورة انفتحت وسائل الإعلام قليلاً في تونس. وبدلاً من مشاهدة مباريات كرة القدم المعتادة، كنا أيضاً قادرين على رؤية في النضالات العمالية التلفزيون في أوروبا، مثل اليونان. اليونان بالنسبة لأوروبا هي تونس بالنسبة لبلدان المغرب والمنطقة بمعنى أن هذه النضالات العمالية ملهمة للغاية. وفي بريطانيا هناك تجديد للنقابات والإضرابات العمالية بعد فترة طويلة نسبياً من الهدوء. وهذا أمر مهم جداً، كما أنه يظهر أيضاً محدودية دعاية الحكام، وكيف يمكن أن يتحول الوضع إذا تنظم الناس العاملون وأخذوا مصيرهم بأيديهم.

اللجنة لأمية العمال هي منظمة ماركسية ناشطة في أكثر من 40 بلداً وتناضل لإنهاء نظام الشركات الكبرى والرأسمالية. نحن نناضل لمجتمع اشتراكي ديمقراطي عالمي. زوروا موقعنا [www.socialistworld.net](http://www.socialistworld.net)